سلامٌ على نوح

صلى الله عليه وسلم

عندما تتحدث الأرض عن عظمائها، فلا بد أن تُذكر سيدي.. عندما يُذكر الدين ويُعرّف الإيمان فلا بد أن تذكر، عندما تُروى قصص الصبر الأسطوري فلا بد أن تذكر، عندما تُعدد نماذج المثابرة، الإخلاص، طاعة الله عز وجل، فمن يذكر قبلك؟ على يدك صُنع الفلك الذي اجتاز بالبشر إلى زمنٍ جديد.. زمنٍ آخر ساد فيه الإيمان حتى حين..

وعندما غرقت الأرض بكفارها، عم السكون ولم يبق على وجه الأرض إلا سفينتك تتهادى برحمةٍ من ربك، إلى أن غيض الماء فاستقرت بك وبمن آمن معك على الجودي...

أتخيل ضجيج الأمواج العاتية الذي يصم الآذان وهدير أمطار الغضب المرعبة وصوتك يكاد يضيع بينها وأنت تصيح منادياً ابنك.. وعندما ساد السكون ولم يبق على وجه الأرض إلا من ارتضاه ربك، أتخيل ألمك وقد أيقنت أنك لن ترى ابنك ثانية، وأن مأواه جهنم.. لا بد أن غصةً ملأتك هماً وحسرة رغم النقاء الذس ساد الكون.. غصة جعلتك تسترحم ربك الذى قضى أمره بهلاك ابنك مع الهالكين، فتنادي ربك "إن ابني من أهلي"..

ثم ما أسرعك إلى لوم نفسك لمراجعة أمر ربك، وما أسرعك إلى استغفاره ورضاك بحكمه..

ما كان أعظم صبرك على الرسالة التي اصطفيت لحملها.. وما كان أعظم صبرك على إيذاء قومك وسخريتهم وأنت تدعوهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهارا، وعلى فقد

ابنك.. لم تعش سيدي حياةً يتخللها صبرٌ بل صبراً تتخلله حياة، وإن لم يكن الصبر أكبر مآثرك..

فمن غيرك يغضب الله غضبتك التي مسحت أثر كل كافر على وجه الأرض إذ دعوت ربك أن يهلكهم لكي لا يضلوا المؤمنين فيفنى الإيمان بفنائك..

ومن غيرك نقت الأرض على يديه بأمر ربه..

ومن غيرك يا جد الأنبياء يثابر تسعمائة عام..

من غيرك يبتني سفينة بلا شاطئ..

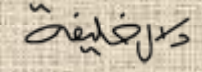

نشر بملحق الشرق الثقافي بتاريخ ٢٠١٤/٦/٢٩م